التى كانت على البابين وكتب عوضها بالسريانى » (١)

وقال فى أخبار من عين فى المراتب بعد الوقعة الهولاكية ببغداد « وعز الدين بن أبى الحديد كاتب السلة فلم تطل أيامه وتوفى ، فرتب عوضه ابن الجمل النصرانى » (٢) وعرض بهذه الغزوة الصليبية شمس الدين الكوفى إذ قال يرثى بنى العباس :

ربع الهداية أضحى بعد بعدهم معطلا ودم الاسلام منسفك (٣)

ومما زاد شراسة هولاكو على المستعصم أن أحد أبناء عمه من السلاطين وهو بركة خان ، كان قبل وقعة بغداد قد أسلم وراسل الخليفة المستعصم وصادقه ، فاشتدت العداوة بينه وبين هولاكو من جهة السياسة والملك ، ومن جهة الاسلام والوثنية وحماية النصرانية ، وكان بركة خان مستولياً على شمال ارمينية وشمال جبال القبق (قفقاسية) ، فلما سمع بنكاية هولاكو جد فى محاربته وشرد بجنوده فى وقعات عدة ، كانت عاقبة أخراهن ان مات هولاكو كمداً وأسفا لانكسار جيوشه ، وانتفع مماليك مصر بهذه العداوة . (٤)

القاهرة مصطفى جواد

(١) الحوادث سنة ٦٥٦
(٢) الحوادث سنة ٦٥٦
(٣) اسمه صفى الدولة سليمان
(٤) أخبار غازان وبلغار لـ د م م الرمزي »

حاضر العالم الإسلامي
تأليف لوثروب ستودارد الامريكى
علق عليه بحواشٍ قيمة مستفيضة
الأمير شكيب أرسلان
يطلب من مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر
بجوار سيدنا الحسين نمرة ٥٠٨٥٦ صندوق البوستة الفرعية نمرة ٦ . شر

٤ — ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

(تتمة)

أما ما صادفه من ممدوحيه فهو السعة والرخاء والعطاء الجم ، وان كنا لا نشك فى انه قد أصابه الاخفاق أحيانا كثيرة مما دعاه الى ان يقول :

فان ألمت بك الرزايا او قرعت بابك الخطوب
فجانب الناس وادع من لا تكشف إلا به الكروب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

ولا نشك كذلك فى ان الوشاة كثيرا ما كانوا يسعون بالافساد بينه وبين الممدوحين ، وكثيرا ما كان هو يتنصل من دعاويهم وأقاويلهم ، ويحسن بها أن نورد قطعة صغيرة من نماذج شعره فى المدح ، قال :

وهنيئا له أبا القاسم الند ب نهانى ، فما أقول الهناتا
هو بحر وما يكدره الحا سد إن بات فيه يلق القذاتا
ساقنى فضله فأسكننى الدو ر وأسكنته أنا الابياتا
واقتسمنا ، فكان عارض غيث عشت فى ظله وكنت النباتا
كرم ينجز العداة وسلطا ن على رسمه يذم العداتا

أما غزل شاعرنا فهو أقل شعره جودة وجمالا : ذلك أنه قد تعمد فيه الأكثار من المحسنات اللفظية ، مما دعا إلى غرابة الشعر واحتياجه إلى فهم وتثبت وروية ، والغزل إن لم يكن معناه سريعا إلى القلب يسبق لفظه إلى الفهم يصبح ثقيلا على النفس ، ليس له حظ من جمال الشعر ، فضلا عن أن المعانى التى كان يجىء بها معان صغيرة لا تحتاج إلى كل هذا التكلف ، ويعد من أجمل ماقاله فى الغزل قوله :

سددوها من القدود رماحا وانتضوها من الجفون صفاحا
يالها حالة من السلم حالت فاستحالت ولا كفاح كفاحا
صح إذ أذرت العيون دماء أنهم أتخنوا القلوب جراحا
عجبا للجفون ، وهى مراض كيف تستأثر العيون الصحاحا
آه من موقف يود به المغ رم لو مات قبله ، فاستراحا
وجناح النوى تضم ظباء لم تخف فى دم الأسود جناحا

وهى تدلك على قصر باع شاعرنا فى فن الغزل ، وقد يكون ذلك

راجعا إلى أن عاطفته التي ينبعث منها الغزل كانت قفراء مجدبة ، إذهو ليس إلا رجل عمل وأسفار .

أما الوصف فهو كثير فى شعره ، وهو يصف لك مارآه وشاهده فى مصر وفى غيرها من تلك البلاد التى رحل اليها ، ولقد كان للنيل ولمنارة الاسكندرية حظ فى وصفه ، وهناك منظر من طبيعة مصر قد رسمه شعرا يوم قال :

أنظر الى الشمس فوق النيل غاربة واعجب لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبدت شعاعا منه يخلفها كأنما احترقت بالماء فى الغرق

وفى الحق انه منظر يثير فى النفس حب الجمال وحب الطبيعة . ذلك المنظر هو منظر غروب الشمس حيث تختفى وراء الأفق تاركة وراءها حمرة الشفق بازغا بعدها الهلال . كما كان لوصف أسفاره ، ووصف ماركبه فى تلك الأسفار حظ أى حظ فى شعره ، فوصف لنا الفرس ، ووصف لنا السفينة ، ووصف لنا ما كان يلاقيه فى سفره ، ولعل من أجمل ما قاله فى الوصف تلك القصيدة التى يصف لنا فيها سفرة من أسفاره ، ويحدثنا عن البحر وهدوئه ثم عصفه وارعاده ، ثم يعطف على السفينة فيصفها ، ثم على إخوانه فيشوق اليهم ، قال :

لو لم يحرم على الأيام انجادى ماواصلت بين اتهامى وانجادى
طوراً أطير مع الحيتان فى لجج وتارة فى الفيافى بين آساد
والناس كثر ولكن لا يقدر لى الا مصاحبة الملاح والحادى
أقلعت والبحر قد لانت شكائمه جداً ، وأقلع عن موج وإزباد
بساد لا عاد ذا ريح مدمرة كأنها أخت تلك الريح فى عاد
ونحن فى منزل يسرى بساكنه فاسمع حديث مقيم داره غادى
لا يستقر لنا جنب بمضجعه كأن حالاتنا حالات عباد
فكم يصعر خد غير منصعر وكم يخر جبين غير سجاد .. الخ

أما حين يحدثنا عن الطبيعة ويصفها فهو يشعرك أنه تلميذ لابن المعتز لكثرة تشبيهاته وتضمين معانيه . وان شئت أن تتأكد من ذلك فاقرأ قوله .

سرت وجبين الجو بالطل يرشح
وثوب الغوادى بالبروق موشح
وفى طى أبراد النسيم خميلة بأعطافها نور الربا يتفتح
تضاحك فى مسرى العواصف عارضا
مدامعه فى وجنة الروض تسفح
وتورى به كف الصبا زند بارق شرارته فى فحمة الليل تقدح
تفرس منها البدر فى متن أشقر يلاعب عطفيه النسيم فيمرح

باقى أغراض الشعر التى طرقها قليلة ، ولكنه فى هجائه قصير موجع بالرغم من ندرة الهجاء فى شعره ، ورثاؤه قليل كذلك ، وهو لا ينسى فيه المحسنات اللفظية والجمال البديعى ، أما عتابه فقليل كذلك ، وهو يشتد ويوجع فيه ثم يلين ويرق ، بعد أن يكون قد أوجع ، واسمعه يعاتب :

أقبل بوجهك إنى عنك منصرف فما أقول لسؤالى ؟ وما أصف؟
خدعت فى وعرتك الضراعة بى ومال تيهابك الاعجاب والصلف
وكان من سيئاتى أننى أبداً إليك فى سائر الحالات أختلف

إلى أن قال :

أنت الكريم وقد قال الألى مثلا
إن الكرام إذا ما استعطفوا عطفوا
متى أقول : صباح لاح شارقه
فضم رحلك وارحل أيها السدف

تلك أهم أغراض الشعر التى طرقها ابن قلاقس

لم يعمر شاعرنا طويلا كما ذكرت ، بل مات وهو فى سن الخامسة والثلاثين ، ويخيل الى أن الهرم أصابه سريعا حتى صح له أن يقول وهو فى سن الثلاثين :

مدت الى الأربعو ن يدأوقد قهقرت عشرا

فكنت تراه فى سن الثلاثين كأنه قد أوفى على الاربعين ، ولعل الشيب قد لحقه سريعا ، فمضى يذم الشيب ويتحسر على فقد الشباب شأن كل شاب يريد أن يتمتع بالحياة فيلحقه الشيب ، ويغير على لمته ؟

احمد احمد بدوى
المدرس المنتدب بثانوية نابلس

ظهر حديثا

أبو على عامل أرتست

مجموعة من القصص المصرية العصرية
للاستاذ محمود تيمور

يطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش صاغاً